الولاء والبراء



د. محمود بن أحمد الدوسري

تاريخ الإضافة: 20/12/2021 ميلادي - 14/5/1443 ،

الزيارات: 35707

الولاء والبراء

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِ
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أمَّا بعد:

الولاء والبراء ركنٌ ركين وأصلٌ أصيل في عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فبها يكون ولاء العبد لله
صلى الله عليه وسلم ولدينه وللمؤمنين، ويكون البراء من أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
السنة والجماعة هم أكثر الخلق تطبيقًا لقضية الولاء والبراء، فهم يوالون في الله تعالى ويتبرَّؤون ل
ومقياسهم واحد، وهو مدى التزام مَنْ يُوالون بمنهج الله تعالى والتمسُّك بالعقيدة الصحيحة؛ مُعا
المودَّة والرحمة والمحبة في الله على كلِّ ما عداها من عصبيةٍ أو قبليةٍ أو حق رحم، وقد ضرب ال
عنهم خير مَثَلٍ في هذا الأمر؛ ومن ذلك ما أورده ابن كثير رحمه الله في سبب نزول الآية، حيث ق
الآية: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾ إلى آخرها [المجادلة: 22]، في أبي عبيدة
بن الجراح، حين قَتَل أباه يوم بدر؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمرَ
أولئك الستة رضي الله عنهم: "ولو كان أبو عبيدةَ حيًّا لاستخلفته".

وقيل في قوله: ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾: نزلت في أبي عبيدة، قتل أباه يوم بدر. ﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾:
يومئذٍ بقتل ابنه عبدِ الرحمن، ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾: في مصعب بن عمير، قَتَل أخاه عبيد بن عم
عَشِيرَتَهُمْ ﴾: في عمر، قَتَل قريبًا له يومئذٍ أيضًا، وفي حمزةَ وعليٍّ وعبيدةَ بنِ الحارث، قَتَلوا عتبةَ
عتبة يومئذٍ، والله أعلم.

قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أُسارى بدر، فأ
يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العمِّ والعشيرة، ولعلَّ اللهَ أنْ يهديهم. وق
ما رأى يا رسول الله، هل تُمكّنِني من فلانٍ – قريب لعمر – فأقتله، وتمكِّن عليًّا من عقيلٍ، وتمكِّ
ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين... القصة بكمالها)[1]. والحديث عن "الولاء
أربعة أمور:

أولًا: تعريف الولاء والبراء:

• الولاء في اللغة: يُطلق الوليُّ على: النَّاصرِ، والتَّابعِ المُحِبِ، والصَّاحبِ، والوليُّ: ضِدُّ العدو، والمحبَّة[2].

• الولاء في الاصطلاح: هو التَّناصر والتَّعاضد عن حبٍّ في الله، وترابطٍ في دينه، إذْ قد يكون ا
بسبب تحالفٍ أو عصبيةٍ من نوعٍ مَّا، أو غيرِ ذلك من الأسباب الدنيوية[3]، ومنه قوله تعالى
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 71]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ
[الأنفال: 73]. (أي: يتناصرون ويتعاضَدون)[4].

• البراء في اللغة: من بَرِئَ إذا تخلَّص، وإذا تنزَّه، وتباعد[5].

• والبراء في الاصطلاح: (هو البُعد، والخَلاص، والعداوة بعد الإعذار والإنذار) [6]، ومنه قول
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
[الممتحنة: 4].

والخلاصة: أنَّ مدار الولاء والبراء على المحبَّة والبغض؛ المحبَّة والوِلاية لله ورسوله ولأهل الإيمان، و
لعدوِّ الله ورسوله وللكفار[7].

ثانيًا: قواعد مهمة في (الولاء والبراء):

القاعدة الأُولى: لا يتمُّ الإسلام إلاَّ بالبراءة ممَّا سواه. ودليلها: قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُو
26–28].

القاعدة الثانية: الولاء والبراء يكون لله تعالى. ودليلها: قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: 3]. فالأصل أنَّ المسلم يُوالي كلَّ مَنْ و كلَّ مَنْ عاداه الله، ويتبرَّأ منه؛ فإنَّ مَنْ والى في الله تعالى، وعادى في الله سبحانه، وأحبَّ في الله فقد حقَّق ولاية الله تعالى.

القاعدة الثالثة: البراءة من الكفار، ومُعاداة العاصي بحسب معصيته: ودليلها: قوله سبحانه: يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَا أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة: 22].

قال ابن تيمية رحمه الله: (إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسُنَّة من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من ا الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللِّص الفقير تُقطع يدُه من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم ومَنْ وافقهم)[8].

ثالثًا: وجوب موالاة المؤمنين:

تضافرت نصوص الكتاب والسنة على وجوب موالاة المؤمنين، وأنَّ الولاء إنما يكون بالحق والعد الله تعالى، بعيدًا عن الظلم والجور:

1- قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 1

وجه الدلالة: موالاة المؤمنين والمؤمنات بعضُهم لبعض في المحبة والانتماء والنصرة، مع اتِّصافهم والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وملازمة طاعة الله ورسوله على الدوام.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مقتضيات الولاء؛ إذ أنه لحبِّه إيَّاه وحِرصِه على ما فيه أمَرَه بالمعروف الذي يُقرِّبه من الله سبحانه ومن الفوز بنعيمه، ونهاه عن المنكر الذي يُباعد بينه ثم يُدخله النار.

2- وقال تعالى: ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: 29]. وقوله صلى الله عليه
لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[9]. وجه الدلالة: المؤمنون والمؤمنات يُوالي بعضُهم ب
والتَّراحم والتعاطف؛ كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يرى الكفار منهم إلا

3- وقال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: 54]. وجه الدلالة: م
والمؤمنات بعضهم لبعض أنهم للمؤمنين أذلةً؛ من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم، ورِفقهم، و
بهم وسهولة جانبهم، وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله أعزة، قد اجتمعت
على معاداتهم[10].

4- وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذ
أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ [الأنفال: 72].

وجه الدلالة: أنَّ النُّصرة من حقيقة الموالاة بين المؤمنين، و(هذا عقدُ موالاةٍ ومحبة، عَقَدَها الله
الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله؛ لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار ا
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أوليا
إيمانهم، وتمام اتِّصال بعضهم ببعض)[11].

رابعًا: وجوب البراءة من الكافرين وأعداء الدِّين:

دلَّت النصوص الشرعية على وجوب براءة المؤمنين والمؤمنات من الشرك وأهله وعموم أعداء الدِّ
1- قال تعالى: ﴿ لاَ يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ
إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: 28].

وجه الدلالة: نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين؛ بالمحبة، والنصرة، والاستعانة بهم عا
المسلمين، وتوعَّد مَنْ يفعل ذلك بأنْ ينقطع عن الله سبحانه، وليس له في دين الله نصيب؛ لأنَّ م
تجتمع مع الإيمان، الذي يأمر بموالاة الله، وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة د
أعدائه[12].

2- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: 51]. وجه الدلالة: في الآية الكريمة دليل على الابتعاد عن الكفار
وصداقتهم، والميل إليهم، فلا يتولاهم إلاَّ مَنْ هو مِثْلُهم.

قال ابن عطية رحمه الله: (مَنْ تولاَّهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النِّقمة والخلو
تولاهم بأفعاله من العَضْد ونحوه دون معتقد، ولا إخلالٍ بإيمان فهو منهم في المَقْت والمَذَمَّة الواقعة

3- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُ
قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 57].

وجه الدلالة: نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر
يحبونهم، ويتولَّونهم، ويُبدون لهم أسرارَ المؤمنين، ويُعاونونهم على بعض أمورهم، التي تضرُّ الإسلام
ما معهم من الإيمان، يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم[14].

4- قوله تعالى: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة: 2

وجه الدلالة: (لا يكون العبدُ مؤمنًا بالله واليومِ الآخِرِ حقيقةً، إلاَّ كان عاملًا على مقتضى إيمانِه
مَنْ قام بالإيمان وموالاتِه، وبُغْضِ مَنْ لم يقم به ومُعاداتِه، ولو كان أقربَ الناس إليه)[15].

قال ابن تيمية رحمه الله: (فأخبرَ أنك لا تجدُ مؤمنًا يُوادَّ المُحادِّين لله ورسوله؛ فإنَّ نَفْسَ الإيمان
ينفي أحدُ الضِّدَّين الآخَرَ، فإذا وُجِدَ الإيمانُ انتفى ضِدُّه وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل
بقلبِه كان ذلك دليلًا على أنَّ قلبَه ليس فيه الإيمانُ الواجب)[16].

ويجب أن نُشير إلى أمر غاية في الأهمية، وهو أنَّ أهل السنة يُفرّقون بين الولاء والبراء عقيدةً، وب
وآداب التواصل مع غير المسلمين سلوكًا.

فالولاء والبراء قضيةٌ عقدية، مُرتبطة بالنُّصرة للدِّين والمتابعة للحق، وهو أمرٌ لا تهاون فيه ولا مُطالَب بنصرة أخيه المسلم وموالاته ضدَّ أعدائه من المحاربين سواء بالسلاح أو بالكلمة؛ من ا والتلبيس على الناس وبثِّ الشُّبه وغير ذلك من وسائل الغزو الفكري والثقافي التي يتستَّرون - الدِّين.

ومن ثَمَّ، فالولاء والبراء يكون من أعداء الدِّين الذين يُظهرون عداوتهم للدِّين ويحاربوه بأيِّ وس ولكن الإسلام ذاته قد ندب المسلمين إلى حسن معاملة غير المسلمين، والإحسان إليهم، طالما لم للدِّين.

وعلى هذا المنهج المعتدل المُتَّزن بميزان الشريعة سار أهل السنة والجماعة، وكتُبُهم خيرُ شاهدٍ ع من فقه التعامل مع غير المسلمين من تأصيلٍ شرعي مُتَّسع لما أشرنا إليه بصورة تعكس مدى ه استدلالهم، ورجاحة منطقهم فيما أقرُّوه في هذا الشأن، حتى شهد لهم المُنصِفون من أصحاب ال ومن المستشرقين مِمَّا يضيق المقام عن ذِكره هنا.

[1] تفسير ابن كثير، (8/ 54).

[2] انظر: لسان العرب، (15/ 411).

[3] انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (10/ 18).

[4] تفسير ابن كثير، (2/ 370).

[5] انظر: تهذيب اللغة، (15/ 193).

[6] الولاء والبراء، د. محمد بن سعيد القحطاني (ص70).

[7] انظر: أهل السنة والجماعة، د. صالح الدخيل. (ص238).

[8] مجموع الفتاوى، (28/ 209).

[9] رواه البخاري، (2/ 863)، (ح2314)؛ ومسلم، (4/ 1999)، (ح2585).

[10] انظر: تفسير السعدي، (ص236).

[11] تفسير السعدي، (ص327).

[12] انظر: تفسير السعدي، (ص127).

[13] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (2/ 204).

[14] انظر: تفسير السعدي، (ص236).

[15] تفسير السعدي، (ص848).

[16] مجموع الفتاوى، (7 /17).